(٤٢) خطبة له ﷺ فى الحث على الجهاد فى سبيل الله والترهيب من الفرار يوم الزحف

عن أبى قتادة الحارث بن ربعى رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ أنه قام فيهم فذكر لهم أن الجهاد فى سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال ، فقام رجل فقال : يا رسول الله . . أرأيتَ إنْ قُتلْتُ فى سبيل الله أتُكفِّر عنى خطاياى؟ . فقال له رسول الله ﷺ :

«نَعَمْ، إنْ قُتلتَ فى سَبيلِ اللهِ وأنتَ صابرٌ مُحْتَسِبٌ مُقْبِلٌ غيرُ مُدْبِرٍ» . ثم قال رسول الله ﷺ :

«كيفَ قلتَ»؟ . قال : أرأيتَ إنْ قُتلْتُ فى سبيل الله أتكفِّر عنى خطاياى؟ . فقال له رسول الله ﷺ :

«نَعَمْ، إنْ قُتلتَ وأنتَ صابرٌ محتسبٌ مقبلٌ غيرُ مدبرٍ إلا الدَّيْنَ، فإنَّ جبريلَ قالَ لِى ذلكَ» .

(رواه مسلم)

فى هذه الخطبة ـ كما قرأنا ـ وبعد أن ذكر أن الجهاد فى سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال : يجيب الرسول ﷺ عن تساؤل وجّهه إليه أحد الأصحاب ، وهو : أرأيتَ إن قُتلْتُ فى سبيل الله أتكفِّر عنى خطاياى؟ . . فقال له رسول الله ﷺ :

«نَعَمْ، إنْ قُتلتَ فى سبيلِ اللهِ وأنتَ صابرٌ محتسبٌ مقبلٌ غيرُ مدبرٍ».

وهذا معناه أن الجهاد فى سبيل الله يكفِّر الخطايا شريطة أن يكون المجاهد فى سبيل الله صابراً على مواجهة العدو وعلى ما يصيبه فى سبيل ذلك من إصابات، ومحتسباً أجره على الله تعالى، مقبلاً غير مدبر - أى: يواجه العدو بكل شجاعة واستبسال غير مدبر، أى: غير فارٍّ مُولِّياً العدو دبره، وقد أشار الله تعالى إلى هذا محذِّراً منه فقال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا[1] فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[2].

وروى أحمد، والنسائى، أن النبى ﷺ، سئل عن الكبائر، فقال:

« الإشْراكُ باللهِ، وقَتْلُ النَّفْسِ المُسْلِمَةِ، وفِرَار يومَ الزَّحفِ ».

ثم إذا كان النبى ﷺ، قد أضاف بعد ذلك فى استدراكه أن الدَّينَ سيكون عقبة كبيرة فى عدم تكفير الخطايا بالنسبة للمجاهد الصابر.. فإنه لابد - إذن - أن يتخلص الإنسان من ديونه إذا أراد أن يخرج للجهاد، أو لأداء فريضة الحج.. حتى إذا ما فارق الدنيا كان أهلاً لفضل الله ورحمته.

---

(١) أى: مجتمعين كأنهم لكثرتهم يزحفون.

(٢) سورة الأنفال: ١٥، ١٦.

وقد قرأت أن أحد الصالحين قال ـ مشيراً إلى هذا :

«العَجَلةُ من الشَّيطان إلا فى خمسة أشياء، فإنها من السُّنَّة: إطعام الضَّيف إذا دخل، وتجهيز الميت، وتزويج البِكْر، وقَضَاء الدَّين، والتوبة من الذَّنْب» .

فلنلاحظ كل هذا ، ولنعجِّل بسداد ديوننا لأنها ـ بالإضافة إلى ما وقفنا عليه ـ همٌّ بالليل وذلٌّ بالنهار . وقد كان النبى ﷺ يقول فى دعائه مناجياً ربه :

« وأعوذُ بِكَ مِنْ غلبةِ الدَّين وقَهْرِ الرِّجال » .

* * *